الثانية . ان صاحبه عزيز علي ، أثير عندي . وانا اقدر كل التقدير نبل دوافعه وغزارة مواهبه . واطمئن نفسي احيانا الى انني ، بما احاول اثارته من اهتمام بهذه الرواية التي مضت حتى الان دون التفاته من النقاد ، قد اتيحت لها فرصة الانصاف الذي لم استطعه ، وذلك من خلال ما يحتمل ان تثيره من ردود ، او من خلال ما قد يسلط عليها من اضواء نقدية في المستقبل ، قد تختلف في طبيعتها عن الزاوية الخاصة التي اخذتها في هذه الدراسة المبدئية *.

ماذا تقول الرواية ؟

كثيرون هم الذين تناولوا التجربة الفلسطينية المرة من هذا الجانب او ذاك من جوانبها ، ولكن ندر من حاول النفاذ الى صميم التجربة ، الى حيث تبلغ درجة الحرارة حد الانصهار الكامل ، والى حيث تتخلى الابعاد والاشكال عن تجسدها الذى يخفي الكثير من حقيقتها الداخلية وتبدو عارية معرضة مكشوفة صارخة غير مواربة .

هذه التجربة ، بحرارتها الصاهرة ، يلجها الدكتور افنان القاسم بمباشرة وقصد ، دون ان يضع على وجهه القناع الواقي، ودون ان يحمي يديه ووجهه بالبزة العازلة . وانه ليلج التجربة ويغوص فيها ويحترق وينصهر ، حتى تكون روايته مادة مائعة لا ابعاد لها ولا قوام ولا ركائز ، مما يدفع القارىء لان يتساءل باستمرار : ماذا تقول الرواية ؟ وما اكثر ما تقوله هذه الرواية ! وما اشد خصبه وتنوعه وتعدده . انها رواية الصراع بين العربي الفلسطيني والصهيوني اليهودي ، وانها لمحاولة جريئة جدا لاستيعاب عناصر هذا الصراع شاقوليا وافقيا ولم اطرافه المستعصية على اللم . ومن اية زاوية ؟ من زاوية المقارنة الدقيقة بين مفهومين للمشكلة ، وموقفين نفسيين منها ، ومسلكين عمليين لها. وذلك بالاضافة الى « التوابل » اللازمة للتذوق المسبق لطعم « طبخة » المستقبل التي تعدد طباخوها وتكدست موادها الخام .

في اي مركز بحث متخصص بالقضية الفلسطينية ، قد تصل بنود تصنيف المادة الاخبارية الى ما يقارب ألف بند . اما المادة التحليلية،فلا يعلم بنودها الا الله . وقد كان الدكتور القاسم يعلم بنود المادة الاخبارية جيدا ، وحاول جاهدا ان يلمها في كل متماسك ،دون ان ينسى ابدا ان فلاحه او عدمه يكمن في استخدام هذه البنود للكشف عن رؤية واضحة لجوهر الصراع وابعاده الفكرية والنفسية .

انها محاولة جريئة كما قلنا . وربما كان ما هو اشد جرأة منها اقدام قارىء « فدائي » على تلخيصها،واى تلخيص ، ههنا ينكشف الناقد لانه مهما جد في التلخيص فانه لن يفي العمل حقه ، وسيكشف عن فهم ناقص له . ومع ذلك لنجازف بالتجريد التالي لتطور الرواية من خلال ما يقدمه لنا السرد الظاهرى .

في باريس يعمل « علي » عاملا في فندق ، وبائع جرائد بعد الظهر : وحياته مرة ، ولكنها تظل محتملة الى ان يهبط عليه « كابليوك » اليهودي زميل طفولته في فلسطين ، ويشاركه غرفته بتصميم ثابت ، ويسطو على حبيبته « ناتالي » . بل اكثر من ذلك يبلغه كابليوك ان حبيبته « روزالي » التي كان متعلقا بها خلال ايام طفولته قد ماتت غرقا ، واخر عهده بها طفلة بريئة تبادله مشروع حب لم تسمح امها « الصهيونية » بأن يكتمل بل قاومته وسحبت منه « روزالي » وحجبتها عن الضوء .

وهكذا، بموت « روزالي » تنتهي كل صلة له ببراءة الطفولة الفلسطينية التي كان ينتفي منها عنصر الصراع ، ويحل محلها البديل الواقعي وهو **الصراع والانحياز .**

ولكنه،بعد لاي، يفقد حبيبته الثانية « ناتالي » ويحوم حولها فيطارده الجميع ، ويتشرد في الشوارع ويجد نفسه معلقا بين الحلم والواقع ، ويقع اسيرا لتناوب كوابيس ووقائع حفلات تعذيب من مجهولين ، تصحبها اهانة واسالة دماء وتقطيع اوصال ، وكان كل رصيف يحمل له مفاجأة سادية من مجهولين ينقضون عليه دونما سبب ظاهر ويبلون في جسمه امر البلاء ، حتى ينقل الى المستشفى وتوضع رجله المكسورة في الجبس . وفي المستشفى ، يشهد

---

* على الاقل لنقل مع ابي تمام .

واذا اتاح الله نشر فضيلة
لولا انتشار النار فيما جاورت

طويت اتاح لها لسان حسود
ما كان يعرف طيب عرف العود